

أنساق الخطاب في الكتابة الصحفية عند سعد بوعقبة
(قراءة في ضوء النقد الثقافي)

Discourse Patterns in Journalistic Writing by Saad Bouakba
(A Reading in Light of Cultural Criticism)

* مراد ليتيمي

LITIMI Mourad

مخبر تحليل الخطاب (تيزي وزو)

جامعة الجيلالي بونعامة – عين الدفلى (الجزائر).

University of Djilali Bounaama – Ain Defla (Algeria)

m.litimi@univ-dbkm.dz

تاريخ النشر: 2025/03/02	تاريخ القبول: 2024/12/05	تاريخ الإرسال: 2024/09/15
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

من بين الكتابات الصحفية جميعها، يبرز الخطاب الصحفي الساخر بصفته أكثر الخطابات الصحفية نقدا وتشريحا للواقع؛ ففي غالب الأحيان نجد الكتاب الذين يتصدون لهذا النوع من الكتابة أكثر جرأة في النقد وقدرة على تشريح الواقع وكشف تناقضات المجتمع رغم هيمنة المؤسسة، وتزخر الساحة الصحفية الجزائرية بمجموعة من هؤلاء نذكر منهم سعد بوعقبة الذي خصصنا له هذه الورقة البحثية بهدف مقارنة كتاباته الساخرة من وجهة نظر النقد الثقافي من خلال طرح مجموعة من الأسئلة منها:

■ ماذا تمثل الكتابة الساخرة بالنسبة لسعد بوعقبة؟

■ لماذا يوظف هذا الأسلوب الساخر؟ وما الغاية من توظيفه؟

■ ما هي الأدوات اللغوية التي ينتهجها في كتابته الساخرة؟

الكلمات المفتاحية : نقد ثقافي، نسق، مضمير، سخرية، خطاب.

Abstract:

Among all forms of journalistic writing, satirical discourse stands out as the most critical and analytical of reality. Writers who engage in this genre often

* مراد ليتيمي : m.litimi@univ-dbkm.dz

demonstrate greater boldness in their critique and a sharper ability to dissect reality and expose societal contradictions. The Algerian journalistic landscape is rich with such writers, including Saad Bouakba, to whom this research paper is dedicated. Our aim is to analyze his satirical writings through the lens of cultural criticism by addressing a series of questions:

- What does satirical writing represent for Saad Bouakba?
- Why does he use this satirical style, what is its purpose?
- What linguistic and rhetorical tools does he employ in his satirical writing?

Keywords: Cultural criticism, discourse, pattern, satire, journalism.



المقدمة:

ينتمي الصحفي المخضرم سعد بوعقبة إلى الرعيل الأول من الصحفيين الجزائريين؛ حيث اشتغل في مختلف الصحف الجزائرية، منها جريدة المجاهد، الشعب، المساء، الشروق، الخبر وغيرها، كما لديه عددًا من المقالات في جرائد ومجلات وطنية وعربية، ولد سنة 1946 بمدينة عزابة ولاية سكيكدة. تشكل السخرية عصب الكتابة عند بوعقبة، وقد بالغ فيها أحيانًا، مما أدى إلى سخط بعض القراء عليه وتعرضه للمساءلة القانونية، ولتتبع أنساق الخطاب المختلفة في كتاباته، خاصة الأنساق المضمرة، حاولنا استثمار الأدوات الإجرائية للنقد الثقافي؛ الذي يُعنى في الأساس بدراسة وتتبع الأنساق الثقافية المضمرة في مختلف الخطابات، ورصد إشكالياتها المركبة، لهذا يُعدّ النقد الثقافي نَمَطًا من النقد يتجاوز النقد التقليدي، فينتقل من دراسة الجمالي إلى دراسة الثقافي، فلا ينظر إلى الخطاب على أنه حدث فني إنما ينظر إليه على أنه حدث ثقافي¹، لكن هذا لا يعني إلغاء النقد الأدبي أو الطابع الجمالي في الخطابات خاصة الأدبية منها؛ "فالنقد الأدبي والنقد الثقافي غير متطابقين تمامًا، لكن تجمعهما مساحات اهتمام متداخلة"²، حيث بإمكان الناقد الأدبي الاشتغال على الثقافي وبإمكان الناقد الثقافي الاشتغال على الأدبي دون المساس بطابع كل واحد منهما. **أولاً: خصائص الكتابة الساخرة عند سعد بوعقبة:**

يمتلك بوعقبة نهجًا ثابتًا في الكتابة الصحفية، يقوم على نقد الممارسات الفردية والاجتماعية والأيدولوجيات التي تحركها، بأسلوب ساخر يُعزّي التناقضات ويكشف عن بواغث ومصادر تلك الأفكار

والأيدولوجيات، ودور النقد الثقافي أن يقارب الخطاب في حد ذاته وهو خطاب بوعقبة باعتباره خطابا صحفيا نقديا ساخرا، والقارئ المتخصص للكتابة الصحفية عند بوعقبة يلاحظ الآتي.

1. النقد اللاذع:

وُجد النقد في عمومته لتحديد سلبيات وإيجابيات ظاهرة ما، لتقوية العناصر الإيجابية وتقويم وتصويب العناصر السلبية، من هذا المنطلق أخذ بوعقبة على عاتقه تحدي تشريح ونقد الوضع السياسي الجزائري في مختلف مظاهره، ومن خلال قراءتنا لكتاباتنا لاحظنا أن النقد عند بوعقبة يتسم بالشدة والإيغال في إظهار السلبيات، كل ذلك بهدف الإصلاح والتقويم، فقد عُرف عن بوعقبة حبه لوطنه ورغبته الكبيرة في الإصلاح والنهوض بالوطن، ومن نماذج النقد اللاذع نذكر:

● يقول في مقال بعنوان (في زواج السياسة بالمال الفاسد؟!): "لا أعتقد أن ولد عباس بإمكانه تنظيف قوائم الترشيح الأفلائية من أدران المال الفاسد كما وعد بذلك؛ لأنّ المال الفاسد أصبح هو عصب الأفلان.. والحكاية بدأت مع بلخادم، عندما مكن لرجال المال الفاسد من الحزب"³، ينتقد الكاتب في هذا المقطع انتقادا لاذعا ولوج رجال الأعمال والمال الفاسد لأعلى هرم في حزب جبهة التحرير الوطني، ما جعل الحزب رهين مصالح هؤلاء، فالكاتب ينتقد في خطابه هذا أول حزب في هرم السلطة الجزائرية مبرزا حجم الفساد الذي وصل إليه هذا الحزب الذي يعيش تناقضات جمة بين شعاراته وخطاباته الشعبوية وبين الواقع.

● يقول في مقال بعنوان (عندما يصبح العار حرية؟!): "العرب وصل بهم الحال إلى حد أنهم أصبحوا لا يستحون من أقذر الأفعال التي يرتكبونها! فمنذ عقود أوكلوا مهمة تحرير فلسطين للأطفال، وركن رجال العرب الأشاوس إلى الخلف في المواجهة مع اليهود... خلف النساء والأطفال...!"⁴، ينتقد الكاتب في هذا المقطع وبارذراء بالغ ما وصلت إليه الدول العربية من تخاذل في نصرة فلسطين؛ حيث تركوا أطفال فلسطين يقاومون المحتل الصهيوني بالحجارة، وتربط النساء الفلسطينيات في المسجد الأقصى حتى لا يحتله الصهاينة، فيكشف الكاتب زيف خطابات السلطة في الدول العربية والمؤسسات الرسمية بها، من خلال إظهار التناقض بين خطاباتها وممارستها في الواقع.

2. المبالغة في السخرية:

تمثل السخرية نمطا من الكتابة النقدية التي تنتهج النقد والتهكم لإظهار أمراض المجتمع وسلبياته، وإبراز تناقضاته⁵، وتهدف السخرية لتقويم المجتمع ودفع الأفراد إلى تصحيح سلوكياتهم، من خلال هذه السخرية كان بوعقبة يسعى إلى كشف الحيل الثقافية التي يُوظفها الأفراد والجماعات خاصة السلطة- للهيمنة على الغير.

● يُبالغ بوعقبة في السخرية- في بعض الأحيان- كما حدث في مقاله المعنون بـ: بعيداً عن السياسية في (مدونة مدار تي في)؛ حيث انتقد سكان ولاية الجلفة نقدا لاذعا أثار حفيظتهم ومما كتبه: "فالأمر يُعد ترقية

لمنطقة الجلفة من مستوى الحرفان إلى حجم الأبقار، فسكان هذه الولاية كانوا دائما خرفانا وترقيتهم إلى أبقار سياسية يُعد تطورا لافتا!⁶، هذا الكلام الجارح والحاد في حق سكان ولاية الجلفة أثار غضبا كبيرا بين السكان وطالب كثيرون بمحاكمته، رغم أن الكاتب اعتذر وبرر بقوله أن كتابته لم تُفهم كما يجب وأُخرجت عن سياقها.

● يقول في مقال بعنوان (تحرك الضباع السياسية!؟): "شيء مؤسف أن تتحرك شبه المعارضة، ليس لتنظيم مواجهة مع السلطة لحسم الرئاسيات، بل للمشاركة بمرشح واحد أرنب يحمل مواصفات ضبع!"⁷، يظهر في هذا المقطع بجلاء سخريّة الكاتب المبالغ فيها من أحزاب وشخصيات المعارضة الجزائرية بعد اجتماعهم لتقديم مرشح للرئاسيات بعد استقالة الرئيس السابق بوتفليقة، وقد وصفهم بالضباع وهو وصف يرتبط في الخيال الجزائري- بالدناءة والانحطاط والقذارة، كما وصف المرشح الذي ستقدمه هذه المعارضة بالأرنب، مع العلم أن الجزائريون والإعلام على وجه الخصوص درجوا على وصف الشخص الذي يترشح للانتخابات وهو لا يملك أي فرصة، بالأرنب الانتخابي، وهو وصف يحمل كثيرا من التحقير والتصغير.

لا ترتبط المعاني التي أشرنا إليها بمقاصد الكاتب فقط بل ترتبط في الأساس بالأنساق المضمرة التي تنتظم في الخطاب، فالثقافة الجزائرية وأفراد المجتمع توافقوا على وسم كلمة الضبع خاصة عند ربطها بالسياسة وكلمة الأرنب خاصة عند ربطها بالانتخابات، بمجموعة من الدلالات السلبية التي قد تتجاوز حتى ما قصده الكاتب نفسه، ففي هذه الحالة، نلاحظ أن الأنساق المضمرة في الخطاب هي التي تحرك الدلالات وتوجه القارئ نحو معاني فرضها التوافق المجتمعي وثقافته وتجربته.

3. معالجة القضايا السياسية:

يلاحظ المتتبع للكتابة الصحفية عند بوعقبة، أنه يُوجه اهتمامه ويُخصّص كتاباته للقضايا السياسية الجزائرية، فجل كتاباته ترتبط بالتسيير الحكومي والرئاسة والأحزاب السياسية والنقابات والمسؤولين، أما خوضه في سياسات الدول فهو نادر، والأندر منه هو الخوض في المسائل غير السياسية، ورغم أن الخوض في القضايا السياسية الوطنية شكّل له تحديا وساقه في كثير من الأحيان إلى المساءلة، إلا أنه لم يغير نهجه وبقي وفيا لمواضيعه وبقي قراؤه أوفياء له.

ثانياً. أنساق الخطاب الساخر عند بوعقبة:

تتداخل الأنساق في أي خطاب من الخطابات؛ حيث نجد في الخطاب الواحد أو العبارة الواحدة مجموعة من الأنساق المختلفة لكنها متداخلة، وكتابات سعد بوعقبة لا تشذ عن ذلك، فقد تنطوي العبارة الواحدة على أكثر من نسق خطابي، والتصنيف الآتي، الذي سنقدمه في هذه الدراسة، هو تصنيف نظري فقط، فقد نعرض لعبارة أو جملة على أنها تنتمي إلى نسق ما مع العلم أن تأويلها قد يفضي إلى نسق آخر،

فالأنساق جد متداخلة ومتواشجة، يغلب عليها الطابع التأويلي الذي قد يسوقها إلى مسارات متنوعة، وفي هذا السياق يكون دور القراءة الثقافية -التي تنسم بطبيعة كاشفة- البحث عن المجهول داخل الخطاب. يمثل النسق الثقافي وحدة دالة داخل حقل من الوحدات التي تشكل الخطاب، وهذا النسق يبني على مجموعة من الآليات الفكرية لفئة اجتماعية ما، تشترك في الأسس الأيديولوجية.

1. النسق الصريح:

هو الخطاب كما يبدو لأول وهلة، في مباشرته، وكما يظهر دون تأويل، ويكون الخطاب فيه مباشراً ومقاصده واضحة.

● يقول في مقال بعنوان (الأمن القومي بكراء الجيوش؟!): "العربية السعودية أكبر دولة في المنطقة صرفت أموالاً هائلة على التسليح لجيشها في المنطقة لم يستطع جيشها الذي اقتنى أحدث الأسلحة أن يصون أمن المملكة من ضربات الحوثيين اليمنيين الجوعى! فوجدت المملكة نفسها مضطرة إلى أكثر جزء من أقوى جيش في العالم (جيش الولايات المتحدة) للدفاع عنها"⁸، عبر الكاتب في هذا المقطع تعبيراً صريحاً عن رأيه تجاه قضية كراء السعودية لقوة عسكرية أمريكية للدفاع عنها من هجمات الحوثيين، رغم صرفها لأموال طائلة في التسليح، مع أن المقطع لا يخلو من الأنساق المضمرة إلا أنه في عمومها تغلب عليه الأنساق الصريحة.

● يقول في مقال بعنوان (في عيد العلم): "في يوم العلم لا يكرم علماء الدين في الجزائري، ولا يكرم العلماء في العلوم الحديثة.. بل تكرم أغلبية من الفنانين الذين لا علاقة لهم بالعلم أو العلماء"⁹، يعبر الكاتب في هذا المقطع عن امتعاضه من تكريم الحكومة بمناسبة يوم العلم -لبعض الأشخاص الذين يسمون أنفسهم فنانيين، بدل تكريم العلماء والباحثين الذي بذلوا حياتهم في العلم والبحث، وهي صورة تعبر عن الرداءة التي وصلنا إليها، من الرفع من قيمة الفنانين في مقابل إهمال العلم وأهله، فالأم تتقدم وتزدهر بالعلم والعلماء لا غير، وهو انتقاد لاذع للسلطة التي من المفترض أن تكرم أهل العلم في يوم العلم.

2. النسق الضمني:

هو نسق ظاهر لكن غير مباشر؛ حيث يفهم عن طريق التأويل ومنه ينقل الكاتب آراءه وأفكاره دون التصريح بها مباشرة من خلال الأساليب البلاغية والصور البيانية.

● يقول في مقال بعنوان (جامعات مستواها أقل من المركز الثقافي الفرنسي؟!): "مشكلة رمي الشباب الجزائري لنفسه في بحر الثقافة الفرنسية، من خلال المشاهد التي سجلت أمام المركز الثقافي الفرنسي مؤخراً، ليست أخطر من رمي الشباب لنفسه في البحر"¹⁰، وظف الكاتب في هذا المقطع مجموعة من الصور البيانية التي تحتاج للنظر والتأويل لفهم ما يرمي إليه كاتب، فكناية (رمي الشباب الجزائري لنفسه)، وتشبيه (بحر الثقافة الفرنسية)، وغيرها من الصور التي وظفها الكاتب في ثنايا المقال تحمل معاني ضمنية تحتاج إلى

التدبر، فالكاتب يثير في خطابه مسألة هجرة الشباب الجزائري إلى فرنسا وارتمائه في أحضان الثقافة الفرنسية، فالفرنسي الذي يمثل الآخر المحتل والعدو اللدود أصبح في نظر شبابنا حلمًا ونموذجًا يجب الاحتذاء به، أما الثقافة الوطنية أصبحت مصدر حرج لكثير من الشباب، الذين أصبحوا يقلدون الآخر، مستسلمين لوطأة الاستلاب الفكري والثقافي.

● يقول في مقال بعنوان (هوشة الحاجب والفراش!): "هوشة أويحيي وولد عباس في الحملة الانتخابية ليست هوشة الراعي والحماس! بل هي هوشة الحاجب والفراش"¹¹، يبدأ الكاتب عنوانه كما يستهل مقاله بكلمة هوشة، وهي كلمة فصيحة تعني الاضطراب والتفتان، ليصف بها الحالة التي كانت بين أويحيي رئيس حزب الأرندي وولد عباس رئيس حزب الأفلان آنذاك (2017)، وقد استدعى مثلثين من التراث الشعبي الجزائري هاج: (الراعي والحماس)، (الحاجب والفراش)، وهما مثلان يحملان عددا من المعاني الضمنية التي تحتاج إلى معرفة بالمثلثين أولاً ثم معرفة بالشخصين المذكورين ثانياً ومعرفة بملاسات الحادثة ثالثاً، ومع التأويل والربط بين مورد المثلثين ومضمرها يمكن فهم مضامين ومقاصد الكاتب، وقد بين بوعقبة في هذا الخطاب التناقض الذي تعيشه أحزاب السلطة آنذاك بين خطاباتها التي تدعي الوفاق وبين ممارساتها التي يظهر فيها الشقاق والاختلاف.

3. النسق المضمر:

هو نسق مرتبط بالخطاب والمحولات الثقافية للكلمة أو العبارة؛ حيث يكون الخطاب محملاً بجملة من الدلالات التي ترتبط بثقافة المجتمع وتجاريه¹²، فتكون العبارات التي يوظفها الكاتب ناقلة لدلالات لم يكن يقصدها، ويمثل المجاز -بصفة عامة- أكثر المباحث البلاغية نقلاً للأنساق المضمرة¹³، وفي هذا السياق، يرى الغدائي "أن المؤلف المعهود هو ناتج ثقافي مصبوغ بصبغة ثقافية، أولاً، ثم إن خطابه يقول من داخله أشياء ليست في وعي المؤلف، ولا هي في وعي الرعية الثقافية"¹⁴، مع العلم أن دلالات الأنساق المضمرة قد تتناقض مع مقاصد المؤلف في الخطاب، والمتنبع للكتابة الصحفية عند بوعقبة يلاحظ أنها تعج بالأنساق المضمرة وما سنقدمه هو مجرد نماذج بسيطة فقط، أما التنبع الفعلي للأنساق المضمرة عنده فيحتاج إلى مساحة أوسع من هذه الورقة البحثية.

● من الأمثلة التي يمكن تقديمها عن الأنساق المضمرة نذكر قوله في مقال بعنوان (النضال بالكاشير): "عندما كانت السلطة تنقل بالحافلات مناضلي الكاشير إلى التظاهرات المؤيدة للسلطة في نطاق ما يسمى بالمسيرات العنقوية"¹⁵. للجزائريين تجربة مميزة مع الكاشير، فالصور والفيديوهات المتداولة للمساندين لهوتفليقة في القاعة البيضاء عند ترشيحه للعهدة الخامسة، وهم يقتسمون الحبز والكاشير في صورة كاريكاتورية، جعلت من هذه الوجبة محطاً شبهة، وغداً كل من يساند أو يدعم لتحقيق المصلحة يوصف بالكاشير يست.

إن تجربة الجزائريين مع الكاشير جعلت من هذه الوجبة رمزا ثقافيا، يتجاوز الدلالة اللغوية البسيطة ويسمها بمحولات ومعاني سلبية، حتى غدا مجرد ذكر كلمة كاشير يستدعي بطريقة لا إرادية المعاني السلبية التي شكلها الجزائريون حول هذه الكلمة، ويستذكر طواير المساندين للعهدة الخامسة والمرشح في غيبوبة غير مدرك لما يحيط به.

● ومن نماذج الأنساق المضمرة قوله في مقال بعنوان (في خصوصية الحراش!): "سمعنا أن السلطة تعمل الآن على تحويل سجن الحراش إلى مؤسسة خاصة بنزلاء الفساد!"¹⁶، حيث لم يعد سجن الحراش بالنسبة للجزائريين مجرد سجن، فمع ضغط الحراك كانت السلطة مجبرة على محاسبة المسؤولين الفاسدين في أعلى الهرم خاصة الوزراء، ومع كل وزير يُنقل إلى سجن الحراش كانت جموع المواطنين تستقبله بالهتافات، فأصبح لفظ سجن الحراش محمّلا بالمدلولات الثقافية التي شكلها الجزائريون حوله.

● يقول في مقال آخر بعنوان (حنون وزيرة خارجية): "فرغم الأحداث الجسام التي تهدد البلاد من أقصاها إلى أقصاها، فإن الأحزاب تعيش حالة صمت القبور، وإذا نطقت تقول كفرا سياسيا على مستوى قياداتها، أما قواعدها فهي أم درست من عهد عاد وثمود، لوزيرة حنون التي كانت الوحيدة من حين لآخر تسخن البندير السياسي، يبدو أن بنديرها قد تقطع وتفرّق مذاحوها"¹⁷، ينطوي هذا المقطع على عدد من الأنساق المضمرة، لكننا نقف على كلمتين فقط هما: البندير والمذاحة، فهاتان الكلمتان مستمدتان من التراث الشعبي الجزائري، وبمجرد نطقها تتبادر إلى الذهن صورة الأسواق الشعبية والتجمعات الفلكلورية وما يرتبط بها من ممارسات، كما تستدعي إلى الذهن صورة التجمعات السياسية التي تكون مصحوبة بها، فربط هاتان الكلمتان بالممارسة السياسية يشكل صورة هزلية في قمة السخرية.

ثالثا: مركّزات الكتابة الساخرة عند بوعقبة:

تقوم الكتابة الساخرة عند بوعقبة على مجموعة من المركّزات التي تشكل جالية وانسجام خطاباته، كما تجعلها تفيض بالدلالات التي تربط بين مقاصد الكاتب من جهة ومضمرات الخطاب التي تفرض نفسها على الكاتب والقارئ على حد سواء من جهة أخرى، والمتتبع لكتابات بوعقبة يلاحظ الدور الفاعل الذي تؤديه ضروب البلاغة، خاصة المجاز، في تشكيل خطاباته.

1. التورية والتورية الثقافية:

ترتبط معاني التورية بالإخفاء والستر¹⁸، وهي أحد أنواع المحسنات البلاغية المعروفة والمتداولة في البلاغة العربية، ويقصد بها الإتيان بكلمة أو عبارة تحمل معنيين، معنى قريب وظاهر غير مقصود ومعنى بعيد وهو المقصود، يعرفها القزويني بقوله: "التورية، ويسمى الإيهام أيضا؛ وهو: أن يُطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد"¹⁹، يستوقفنا في تعريف القزويني لمصطلح الإيهام والذي يعني أن يوهم المرسل المتلقي

بشيء وهو يقصد شيئاً آخر، فيكون كلامه مبنياً على التلاعب بالمعاني والدلالات، والمتتبع للكتابة الساخرة عند بوعقبة يلاحظ هذه الظاهرة، فكلما وجد سخطاً ومعارضةً على مقال من مقالاته يكون رده أنه لم يقصد ما فهم من كلامه وأن كلامه أُخرج عن سياقه، ويُقدم دلالات أخرى لكلامه تكون أقل حدة.

يسمي رواد النقد الثقافي هذا النمط من الخطاب بالتورية الثقافية؛ حيث ينطوي الخطاب على نسقين أحدهما واعي وظاهر والآخر مضمّر، وقد كان عبد الله الغدائي أول من وظف هذا المصطلح وتبناه عدد من الباحثين²⁰، رغم التقارب بين المصطلح التزائي والمصطلح الذي اقترحه الغدائي إلا أنّهما غير متطابقين، ففي البلاغة يفترض المتلقي معنى قريباً غير مقصود ومعنى بعيداً هو المقصود، فالتقصية موجودة في كلّ الحالات، بينما يفترض المتلقي في القراءة الثقافية، معنى ظاهراً مقصوداً ومعنى آخر مضمّر وغير مقصود، فالتقصية تكون في المعنى الظاهر دون المعنى المضمّر، على هذا الأساس يدعو الغدائي إلى تجاوز التصنيف البلاغي التقليدي للتورية، حيث يعتبر أنّ النقد لم يعد معنياً بدراسة ما هو في الوعي اللغوي، إنّما يجب أن يصرف اهتمامه إلى دراسة الأنساق المضمرة في الخطاب²¹، وهي العناصر غير الظاهرة والمبهمة والخفية بين السطور وفي ظلال الكلمات، هي الأنساق المضمرة التي لم يقصدها المؤلف ولم يهتم بها القارئ، إنّما هي أنساق ثقافية تفرض نفسها في الخطاب.

● وظف بوعقبة التورية في مواضع عدّة منها قوله في مقال بعنوان (خبز الجزائريين وزيارة ابن البابا!): "لا أستطيع أن أكتب عن انهيار أسعار النفط لا بمداد من الدموع ولا بمداد من الدم.. ولا حتى بقلم الرصاص! لأن الجزائريين شعّب شعّباً من الدموع والدم وحتى الرصاص!"²²، كلمة رصاص وفي هذا السياق بالتحديد تحمل معنيين: الأول هو رصاص القلم الذي يتبادر إلى الذهن من أول وهلة، والثاني هو رصاص البنادق والذي يقصده الكاتب، وللجزائريين تجربة مريّة مع الرصاص إبان العشرية السوداء، وقد حاول الكاتب استحضار هذه التجربة من خلال استدعاء الذاكرة الجمعية للكاتب والقارئ.

● يقول في مقال بعنوان (بين الكابوس.. والحلم): "إذا كنت تستطيع أن تحلم فإنك تستطيع أن تحقق حلمك"²³، تحمل كلمة (حلم) معنيين؛ حيث يمكن أن تعني كلمة حلم ما يراه النائم في منامه، كما يمكن أن تعني الأمان التي يسعى الشخص لتحقيقها.

2. الكناية:

يكثر توظيف الكناية عند كتاب السخرية لما تحقّقه من منافع، وهي من المجازات الشائعة في الأدب العربي قديمه وحديثه، والكناية هي: "لفظ أُطلق وأريد به لازم معناه الحقيقي مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى المراد"²⁴، فهي كلام أريد به لازم معناه (أي المعنى المجازي) مع جواز المعنى الحقيقي.

- وظف بوعقبة الكناية في مواضع كثيرة بكتابات منها قوله: "عَصَب رأسك... وأقرأ؟!"²⁵، وهي كناية عن هول ما سيقروه المتلقي، مع جواز المعنى الحقيقي الذين يعني ربط الرأس.
 - وقوله: "أَبْكَ يا وطني الحبيب"²⁶، وهي كناية عن شدة الحزن والأسى مما وصلت إليه حالة الجزائر، مع جواز المعنى الحقيقي وهو البكاء فعلا على حالة الوطن.
 - وقوله: "يا السيسي مصمص فمك"²⁷، كناية عن ضرورة الانتباه في الكلام، وعدم قول ما لا يليق، مع جواز المعنى الحقيقي وهو مصمص الفم قبل الكلام.
- تضفي هذه الكنايات سمة الثراء والتوالد الدلالي على الخطاب؛ حيث تجعله حاملا لعدد من المدلولات التي يستطيع المتلقي فهمها بما يتماشى والسياق، ومنه يمكن للخطاب الواحد أن يحمل دلالات مختلفة حسب المتلقي وسياقات التلقي.

3. التعريض:

ضرب من الكلام القائم على غير المباشرة؛ حيث يكون للكلام وجهين أو عدة أوجه يُمكن أن تفهم من السياق، والتعريض يكون في مقابل التصريح، وقد عُرف هذا الضرب من الكلام عند العرب القدماء²⁸ وبقي متداولاً إلى يومنا هذا لحاجة الناس إليه، ومن التعريض أن تخاطب شخصا وأنت تقصد غيره، أو تُطلق كلاما وأنت تقصد غيره.

يتميز التعريض بكونه أخفى ضروب الكلام بما فيه الكناية؛ حيث تعتمد دلالة على السياق فلا يمكن فهم الدلالة إلاّ به، ما يجعل صاحب التعريض قادرا على إخفاء ما يريد من الدلالة ويظهر ما يريد، ما يجعل من التعريض أداة ناجعة عند أهل البلاغة.

- يقول في مقال بعنوان (عندما يصبح الكلام مصيبة؟!): "قال أويحيى في ندوة صحفية: لم أدع الرئيس زروال للمشاورات لأنني لست في مقامه"²⁹، إن قول أويحيى عن زروال (لست في مقامه)، له معنيين؛ حيث يمكن أن يُفهم من كلامه أنّ مقام زروال أعلى من مقام أويحيى مما جعل هذا الأخير يستحي من استدعائه، كما يمكن أن يُفهم منه أنّ زروال أقل شأنًا منه وهو تأويل وارد، حيث عُرف عن أويحيى الدهاء والتلاعب بالكلام والخطابات.

- يقول في مقال بعنوان (الملهة الجديدة؟!): "الرئيس سيخاطب الشعب برسالة مطوّلة يتحدث فيها عن خريطة الطريق الخاصة بالتسوية السياسي الذي سيُعمد! سيكثر الرئيس في رسالته من الحديث بمنطق سوف، سيواصل الإصلاحات التي بدأها منذ ثلاث سنوات"³⁰، يعلّق الكاتب في هذا المقطع على رسالة كتبها الرئيس السابق بوتفليقة للشعب، وما يستوقفنا في كلامه قوله (بالتسوية، بمنطق سوف)، فقد تفهم

هذه العبارات بأنّ الرئيس يقدم وعودا بالإنجاز ستتحقق لاحقًا، كما يمكن أن تفهم أنّها تسويات لا غير ولن تتحقق أبدًا.

4. الاستعارة:

تعرّف الاستعارة بأنها تشبيه حُذف أحد طرفيه، حيث يستعير المتكلم لفظًا للتعبير عن غير ما وُضع له في أصل الاصطلاح³¹، وقد غني الباحثون في مجال الدراسات العرفانية بالاستعارة أكثر من أنماط المجاز الأخرى معتبرينها عماد التواصل، فالكلام ممّا كانت صفته يقوم على الاستعارة ومعظم الكلام الذي نعتقده حقيقة ما هو إلاّ استعارات أصبحت بفعل الألفة والعادة تبدو كلاما عاديا³².

● يقول في مقال بعنوان (تحية للذباب الأزرق!): "في المدة الأخيرة زاد طنين الذباب الأزرق في مواقع التواصل الاجتماعي. الذباب الأزرق أصبح فعلا يلوث فضاءات الحرية في منصات التواصل الاجتماعي"³³، يقصد بالذباب الإلكتروني حسابات التواصل الاجتماعي الوهمية التي تُوظفها جهة ما لتمرير أجنداتها، وقد وظف بوعقبة في هذا السياق الذباب الأزرق على سبيل الاستعارة؛ حيث تُشبه الحسابات الوهمية بالذباب، حذف المشبه الذي هو الحسابات الوهمية وذكر المشبه به الذي هو الذباب على سبيل الاستعارة المكنية.

● يقول في مقال بعنوان (المعاينة ليست الحل؟!): "وزير الاتصال قال إنّ البلاد بها 350 صحيفة لا تتمتع فيها بالمهنية والقابلية على الحياة سوى 20 صحيفة فقط"³⁴، قدم الكاتب في هذا المقطع تصريحًا لوزير الاتصال الذي يصف حالة الصحافة آنذاك (2014)، حيث رأى أن عددًا كبيرًا من الصحف الجزائرية لا تتمتع بالمهنية وغير قابلة للحياة، ووصف الصحف بالحياة نوع من الاستعارة، حيث شبه الصحف بالكائن الحي، وهي صحف وهمية في الغالب تستفيد من أموال الخزينة والإشهار العمومي أمّا في الواقع فهي غير موجودة.

5. الرموز:

تمثل الرموز أحد أهم المرتكزات التي تنبني عليها الخطابات لما تحمله من دلالات يتعارف عليها أفراد المجتمع، فمن سمات الرمز عدم الثبات؛ حيث يتفق أفراد المجتمع بوسم شيء ما بمجموعة من السمات بما يتلاءم وتجربتهم أو رؤيتهم لذلك الشيء، وهي رؤية أيديولوجية في غالب الأحيان، ولا ترتبط بالشيء ذاته، وتترسب تلك الأحكام والسمات التي ربطها المجتمع بذلك الشيء في أذهان الأفراد حتى تغدو مسلما بها وجزءا من المؤسسة الثقافية³⁵، وقد وظف الكاتب في كتاباته الصحفية عددا من الرموز التي تحمل دلالات ترتبط بالمجتمع الجزائري، وهي رموز ثقافية شكلها الوعي الجمعي خلال مسيرته الحياتية.

● وظف الكاتب مجموعة من المفردات والعبارات التي تحمل دلالات ثقافية، ترتبط بتجربة الجزائريين، وهي مفردات دأب الكاتب على توظيفها في كتاباته الصحفية منا: قوله: (أرنب انتخابي) والذي يُطلق عند

الجزائريين على المرشح الذي لا يملك أي حظ للفوز؛ فهنا الأرنب هو رمز للمشاركة لأجل المشاركة، كما وظف مفردة (زرده) للدلالة على اللقاءات والتجمعات التي لا فائدة منها، فالزرده هي رمز للتجمع بدون فائدة، إلى جانب توظيفه لمفردة (بندير) للدلالة على التطبيل والدعم لأجل المصلحة، فيكون البندير بوصفه آلة موسيقية رمزا لفقدان المبادئ، والمتتبع لكتابات بوعقبة يجد عددا كبيرا من الرموز الثقافية التي لا يتسع المقام لحصرها.

رابعا: من الصريح إلى التلميح (الأهداف والغايات):

تشكل الأدوات البلاغية سألغة الذكر أحد أهم المرتكزات التي يقوم عليها الخطاب الساخر، والكتابة الصحفية الساخرة بصفة خاصة، والمتتبع لكتابات بوعقبة الساخرة يلاحظ كثرة توظيفه للأدوات البلاغية، ويسعى من خلال ذلك إلى تحقيق مجموعة من الأهداف في مقدمتها:

1. تحقيق المتعة الجمالية: يتسم الخطاب المبني على مباحث البلاغة خاصة المجاز بالتشويق كما تضيئي على الخطاب طابعا فنيا وسمة جمالية من خلال الغرابة التي تكتنف المجاز، ومعلوم أن الغرابة من أهم سمات الجمالية في الخطابات الأدبية.

2. إعمال الفكر: تجذب المتلقي للتدبر وإعمال الفكر لفهم المعنى البعيد من خلال المعنى القريب والربط بينها لفهم مقاصد المؤلف³⁶، فالدلالة في المجاز تكون متشعبة ومتداخلة تحتاج إلى فهم السياق اللغوي للخطاب والسياقات الخارجية المختلفة لفهم المجازات ودلالاتها داخل الخطاب.

يستغل الكاتب ثراء اللغة وتشعب دلالات الكلمات والعبارات لدفع المتلقي للنظر في خطابه والتدقيق فيها وتمحيصها، لبلوغ مقاصد الخطاب مع العلم أن المتلقيين مختلفين في كفاءاتهم اللغوية واستعداداتهم الفكرية، فينتج عن الخطاب الواحد قراءات متعددة ومتباينة.

3. تجنب المساءلة: يُوظف بوعقبة -كغيره من الكتاب في مجال السخرية- مباحث البلاغة لتجنب المساءلة؛ حيث يمكنه أن يدعي أنه لم يقصد ما فهم من كلامه وإنما قصد غير ما ظنه بعضهم إساءة، والبلاغة ستكون سنداً في ذلك؛ حيث سيحتملها المعاني التي يريد، وبالتالي يبعث للقارئ بمعاني معيّنة، وإن وجد امتعاضاً أو رفضاً من جهة ما خاصة السلطة، يقول أنه لم يقصد ما فهم، ومن ذلك قوله: "أثار مقال السابح المعنون بعيداً عن السياسة، موجة عارمة من سوء الفهم، من قبل مُحترفي اصطلياد سوء الفهم والمتأجرة به"؛ فالكاتب يستطيع من خلال الأدوات البلاغية المختلفة تجاوز الهجمة (السلطوية)³⁷ التي تفرضها المؤسسة أياً كانت طبيعتها.

4. رفع الحرج: ترفع المباحث البلاغية خاصة التورية الحرج عن الكاتب من خلال المعاني والدلالات التي يحملها الخطاب المبني على التورية³⁸، خاصة في القضايا التي تشكل حرجاً للكاتب في مجتمعه.

خاتمة:

أفضت هذه الورقة البحثية إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- يقدم النقد الثقافي آفاقا جديدة في مقارنة الخطابات المختلفة، مع ذلك يبقى النقد الأدبي هو الأساس الذي لا يمكن أن يقوم أيّ تنظير أو مقارنة بدونه، فلا يمكن الاستغناء عنه، وموت النقد الأدبي كما يدّعي الغدائي غير ممكن، فجل الآراء والأفكار التي قدمها الغدائي أو غيره تقوم على مكتسبات النقد الأدبي وتدور في فلكه.
- تبدو الأنساق المضمرة أكثر تأثيرا في الخطاب الصحفي، لما لهذا الخطاب من خصوصية، فهو خطاب موجه لمختلف فئات المجتمع وشرائحه، وينهل من معين ثقافة المجتمع.
- تتداخل الأنساق المختلفة داخل الخطاب بصفة تجعل من المستحيل الفصل بينها، والتصنيف الذي يكون في الدراسة هو مجرد تصنيف نظري.
- تكمن العقبة الرئيسية في دراسة الأنساق المضمرة، في التفريق بين مقاصد الكاتب، والأنساق المضمرة التي يفرضها الخطاب على الكاتب والمتلقي.
- بقي بوعقبة وفيا للمواضيع السياسية رغم كثرة التحديات، ثابتا في رؤيته، هذا الثبات أكسبه التقدير والاحترام حتى عند خصومه، فالكتابة الصحفية والسخرية تمثل بالنسبة له أداة لتسريح الواقع ومعرفة الحالة المرضية فيه، ودفع الأفراد خاصة المسؤولين إلى معالجة الخلل.

هوامش:

- ¹ ينظر: سمير خليل، (2012)، النقد الثقافي (من النص الأدبي إلى الخطاب)، ط01، دار الجواهري، بغداد، ص07.
- ² فنسنت ليتش، (2022)، النقد الثقافي (النظرية الأدبية وما بعد البنيوية)، تر: هشام زغلول، ط01، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ص21.
- ³ سعد بوعقبة، (2016.11.17) في زواج السياسة بالمال الفاسد، <https://www.elkhabar.com/press/article/114632>.
- ⁴ سعد بوعقبة، (2016.08.29) عندما يصبح العار حرية، <https://www.elkhabar.com/press/article/112590>.
- ⁵ ينظر: نبيل راغب، (2000)، الأدب الساخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص10.
- ⁶ سعد بوعقبة، (2023.02.06)، بعيدا عن السياسة، عن جريدة الصحافة، <https://www.assahifa.com>.
- ⁷ سعد بوعقبة، (2019.01.17) تحرك الضباع السياسية، <https://www.elkhabar.com/press/article/149195>.
- ⁸ ينظر: سعد بوعقبة، (2019.10.13) الأمن القومي بكراء الجيوش، <https://www.elkhabar.com/press/article/158582>.

- ⁹. سعد بوعقبة، (2017.04.18)، في عيد العلم، <https://www.elkhabar.com/press/article/120794>.
- ¹⁰. سعد بوعقبة، (2017.10.31)، جامعات مستواها أقل من المركز الثقافي الفرنسي، <https://www.elkhabar.com/press/article/128134>.
- ¹¹. سعد بوعقبة، (2017.04.19)، هوشة الحاجب والفراش، <https://www.elkhabar.com/press/article/120831>.
- ¹². ينظر: عبد الله الغدامي، (2005)، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، ط02، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص72.
- ¹³. ينظر: المرجع نفسه، ص67.
- ¹⁴. المرجع نفسه، ص76/75.
- ¹⁵. سعد بوعقبة، (2019.10.17)، النضال بالكاشير، <https://www.elkhabar.com/press/article/158736>.
- ¹⁶. سعد بوعقبة، (2019.12.21)، في خصوصية الحراش، <https://www.elkhabar.com/press/article/157833>.
- ¹⁷. سعد بوعقبة، (2018.09.14)، حنون وزيرة خارجية، <https://www.elkhabar.com/press/article/143223>.
- ¹⁸. ينظر: نعمان عبد السميع متولي، (2020)، أفابوق التورية (جليّة الكلام، ومتعة الأفهام)، ط01، دار الجديد للنشر والتوزيع، الجزائر، ص17.
- ¹⁹. جلال الدين محمد بن عبد الرحمان الخطيب القزويني، (1904)، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمان البرقوقي، ط01، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ص359.
- ²⁰. ينظر: سمير الخليل، (2014)، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي (إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص76.
- ²¹. ينظر: عبد الله الغدامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، ص69.
- ²². سعد بوعقبة، (2018.11.26)، خبز الجزائريين وزيارة ابن البابا، <https://www.elkhabar.com/press/article/146833>.
- ²³. سعد بوعقبة، (2014.01.16)، بين الكابوس.. والحلم، <https://www.elkhabar.com/press/article/19065>.
- ²⁴. أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، (1998)، الكناية والتعريض، تح: عائشة حسين فريد، دار قباء، مصر، ص21.
- ²⁵. سعد بوعقبة، (2019.10.01)، عَصَب راسك... وأقرأ، <https://www.elkhabar.com/press/article/158153>.
- ²⁶. سعد بوعقبة، (2014.02.23)، أبك يا وطني الحبيب، <https://www.elkhabar.com/press/article/26865>.
- ²⁷. سعد بوعقبة، (2014.05.02)، يا السيسى مصمص فك، <https://www.elkhabar.com/press/article/39569>.
- ²⁸. ينظر أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، الكناية والتعريض، ص53.
- ²⁹. سعد بوعقبة، (2014.06.21)، عندما يصبح الكلام مصيبة، <https://www.elkhabar.com/press/article/48906>.
- ³⁰. سعد بوعقبة، (2014.04.24)، الملهة الجديدة، <https://www.elkhabar.com/press/article/38214>.
- ³¹. ينظر: بسيوني عبد الفتاح توفيق، (2015)، علم البيان (دراسة تحليلية لمسائل البيان)، ط04، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ص155.

- ³². ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، (2009)، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط02، دار توبقال، المغرب، ص 22/21.
- ³³. سعد بوعقبة، (2020.02.08)، تحية للذباب الأزرق، <https://www.elkhabar.com/press/article/163217>.
- ³⁴. سعد بوعقبة، (2014.06.19)، المعايمة ليست الحل، <https://www.elkhabar.com/press/article/48475>.
- ³⁵. ينظر: بن عطية نصر الدين، إجراءات النقد الثقافي في النقد في المقاصر (قراءة في الأسس والتطبيقات)، مذكرة لنيل الماجستير، جامعة بلعباس، 2015/2014، ص 53/52.
- ³⁶. ينظر: إكرام فرح الربيعي، (2017)، الخطاب الإعلامي وتكتيك استعمال مفارقة التورية، ط01، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر، ص 24.
- ³⁷. ينظر: سمير خليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي (إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة)، ص 324.
- ³⁸. ينظر: المرجع نفسه، ص 26.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1. أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، (1998)، الكناية والتعريض، تح: عائشة حسين فريد، دار قباء، مصر.
2. إكرام فرح الربيعي، (2017)، الخطاب الإعلامي وتكتيك استعمال مفارقة التورية، ط01، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر.
3. بسيوني عبد الفتاح توفيق، (2015)، علم البيان (دراسة تحليلية لمسائل البيان)، ط04، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
4. بن عطية نصر الدين، إجراءات النقد الثقافي في النقد في المقاصر (قراءة في الأسس والتطبيقات)، مذكرة لنيل الماجستير، جامعة بلعباس، 2015/2014.
5. جلال الدين محمد بن عبد الرحمان الخطيب القزويني، (1904)، التلخيص في علوم البلاغة، تح: عبد الرحمان البرقوقي، ط01، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.
6. جورج لايكوف ومارك جونسون، (2009)، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط02، دار توبقال، المغرب.
7. سمير خليل، (2014)، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي (إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
8. سمير خليل، (2012)، النقد الثقافي (من النص الأدبي إلى الخطاب)، ط01، دار الجواهري، بغداد، العراق.
9. عبد الله الغدادي، (2005)، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، ط02، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.

10. فنسنت ليتش، (2022)، النقد الثقافي (النظرية الأدبية وما بعد البنيوية)، تر: هشام زغلول، ط01، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر.
11. نبيل راغب، (2000)، الأدب الساخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
12. نعمان عبد السميع متولي، (2020)، أفويق التورية (حلية الكلام، ومتعة الأفهام)، ط01، دار الجديد للنشر والتوزيع، الجزائر.
- المواقع الإلكترونية:
13. سعد بوعقبة، (سلسلة مقالات نشرها الكاتب من سنة 2014 إلى غاية 2019)، نقطة نظام، 03 سبتمبر 2024، www.elkhabar.com/press.
14. سعد بوعقبة، (2023)، بعيدا عن السياسة، عن جريدة الصحافة، 02 سبتمبر 2024، <https://www.assahifa.com>.